عمالة الأطفال بين سعي الأسرة لتكريس الهيمنة الذكورية والحاجة الاقتصادية

الطالب: فاروق بوكريطة، ، جامعة البليدة 02
تحت اشراف الاستاذة :
(زهرة بن عاشور، والاستاذة: نسيسة فاطمة الزهراء)
karis23@hotmail.fr
samia84dz@gmail.com

تاريخ الارسال : 03-05-2018 / تاريخ القبول: 04-05-2018 / تاريخ النشر 15-09-2018

Abstract:

Most Arab societies are governed by the mentality of consecrating the male hegemony under the patriarchal system in the upbringing of its children, and it is evident through the differentiation in the upbringing of male sons from females, where the male at an early age to assume responsibilities beyond his mental capacity and physical energy, and effect negatively, both in terms of physical growth and ntellectual or emotional, for example by paying for work either after leaving school or weekends and annual holidays, he will do various jobs in order to earn money, either to helps his family or to earn his personal expenses and we will try in this paper to diagnose the phenomenon of child labor, and provide a sociological reading of it.

ملخص :

أغلب المجتمعات العربية تحكمها ذهنية تكريس الهيمنة الذكورية في ظل النظام البطريكي في تنشئة أبنائها، ويظهر ذلك جليا من خلال التفرقة في تنشئة الأبناء الذكور عن الإناث حيث يدفع الذكر وفي سن مبكرة نحو تحمل مسؤوليات تفوق قدرته الذهنية وطاقته الجسدية، وتؤثر عليه سلبيا سواء من الناحية نموه الجسدي أو الفكري أو العاطفي، ومن ذلك دفعه نحو العمل سواء بعد تخليه عن الدراسة أو في العطل الأسبوعية والسنوية، فيقوم بمختلف الأعمال من اجل كسب المال، سواء من أجل المساعدة في دخل أسرته، أو من أجل كسب مصروفه الشخصي، ونحاول في هذه الورقة البحثية تشخيص ظاهرة عمالة الأطفال، وتقديم قراءة سوسيولوجية لها.

الكلمات المفتاحية: عمالة الأطفال، الهيمنة الذكورية، الأسرة، الحاجة الاقتصادية.

مقدمة:

تستعين العديد من الأسر بأطفالها في أداء مختلف المهام والأنشطة سواء كانت داخل المنزل أو خارجه، مثل الفلاحة، وبعض الأعمال الخاصة بالأسرة، فكانت هذه المساعدة تمثل نوعا من التدريب للطفل لمساعدته مستقبلا على كسب مهارات تجعله قادرا على الاندماج الاجتماعي وتحمل المسؤولية، بالإضافة إلى القدرة على القيام بأنشطة اقتصادية، وهذا في نظرهم من أجل إكسابه مجموعة من المهارات يستفيد منها مستقبلا خصوصا إذا قرر المواصلة في القيام بنفس نشاط أسرته، و مرحلة الطفولة باعتبارها

بمثابة المرحلة التي تتشكل فيها شخصية الطفل ولذتك وجب أن تكون في ظروف عادية يحظى خلالها الطفل بالرعاية والاهتمام من قبل الوالدين حتى يكون له توافق نفسي ويمدانه بالقيم الأخلاقية التي تتماشى مع معاير المجتمع ويضمنان له حيز للعب والترويح عن النفس ويهتمان بمساره الدراسي وهذا في الغالب ما يفتقر له الأطفال العاملون الذين ترتكز أسرهم في تنشئتهم على مسؤوليات تفوق قدراتهم والذهنية والجسمانية ولا تتمشى مع ميولهم وتوجهاتهم ويتعرضون لظروف عمل قاسية ما ينعكس سلبا على نموهم الجسدي وعلى تكوين شخصية سوية فاعلة في المجتمع وفي ظل إثراء هذا الموضوع والتضارب الذي يكتنفه يتبادر إلى أذهننا التساؤل التالي هل سعي الأسرة إلى توجيه الأبناء نحو العمالة هو وليدة الحاجة الاقتصادية ؟ أم نمط من أنماط التنشئة في المجتمعات الذكورية؟ وهل هم مجبرين أو مخيرين على العمل في سن الطفولة؟

1_ تحديد المفاهيم:

_ الأطفال: Child هي الفترة ما بين نهاية الرضاعة وسن البلوغ، وتنقسم إلى ثلاثة مراحل وهي الطفولة الأولى بين نهاية الرضاعة وسن السادسة، والطفولة الوسطى بين السادسة والعاشرة، والطفولة المتأخرة بين سن العاشرة والثانية عشر، وهي ما تسمى قبل المراهقة"

_ العمالة: labour يشير مفهوم العمل إلى كل مجهود إرادي، عقلي أو بدني يتضمن التأثير على الأشياء المادية وغير المادية لتحقيق هدف اقتصادي، كما أنه وظيفة اجتماعية تتحقق فيها شخصية الفرد1

_ عمالة الأطفال:Child labour هو العمل بأجر أو بدون أجر، والقيام بالنشاطات التي تؤثر على الأطفال جسديا وعقليا واجتماعيا، وتحرمهم من حقهم في التعليم، وتكون خطيرة عليهم، وهو العمل الذي يضع أعباء ثقيلة على الطفل ويهدد سلامته وصحته ورفاهيته، والعمل الذي يستفيد من ضعف الطفل، وعدم قدرته على الدفاع عن حقوقه، وهو العمل الذي يستغل عمالة الأطفال ولا يساهم في تنميتهم، والذي يعيق تعلم الطفل وتدريبه، ويغير حياته ومستقبله"2 ، وهناك من عرفهم أنهم الأطفال الذين يعملون بموافقة أسرهم، وبالاتفاق مع صاحب العمل في محل أو معمل أو ورشة، والسبب في عملهم هو تحسين دخل الأسرة3

الأسرة: family هي الوحدة الاجتماعية الأولى التي تهدف إلى المحافظة على النوع الإنساني وتقوم على المقتضيات التي يرتضيها العقل الجمعي والقواعد التي تقررها المجتمعات المختلفة4.

_ **الحاجة الاقتصادية (المادية): economic needs** هي كل ما يفتقر إليه الإنسان في الحياة، والحاجة، وضرورة إشباعها هما القوة والواقعة على النشاط الاقتصادي أيا كانت صورته أو درجته، وتتطور الحاجات مع تطور المجتمع البشري، فحاجات الإنسان المتمدن هي إضعاف حاجات الإنسان البدائي، ومن ثم يتضاعف النشاط الاقتصادي المتصل بإرضاء هذه الحاجات المتكاثرة5 ونقصد بها المتطلبات المادية الأساسية التي يحتاجها الفرد من سكن وتجهيزات ومأكل ومشرب، وملبس.

_ **الهيمنة الذكورية: patriarchal system** وهي بنية مجتمعية عربية بنية أبوية بطريكية تظهر في أعلى أشكالها في العائلة، مثلما تظهر في المؤسسات الأخرى، ونعكس في ثقافة الأفراد وسلوكهم ومواقفهم، ومن سماتها سيطرة الأب على العائلة، فالعلاقات التي تقوم بين الأب والأم وبين الأب والابن هي علاقات هرمية، وتستخدم كأداة خطاب وسيطرة بدلا من استخدامها للتفاهم والحوار والتواصل، وهدفها ليس التنوير والنقد والتطوير، بقدر تثبيت علاقات القوة والسيطرة العمودية6

2_ أسباب عمالة الأطفال:

هناك عدة أسباب تؤدي لعمالة الأطفال، ساهمت في تفشي هذه الظاهرة في المجتمع الجزائري، وذلك بانخراط الطفل في سوق العمل في سن مبكرة، وفي ما يلي ذكر لأهمها:

_ **حالة الأسرة:** توجد حالات كثيرة تؤدي إلى عمل الأطفال من بينها تخلي أحد الوالدين عن الأسرة وهجرانها أو بسبب حالة الطلاق، أو بسبب مرضه أو دخوله السجن... وعلى العموم يمكن القول إن غياب المعيل للأسرة، يجبر الأطفال على الخروج للعمل من أجل سد هذا العجز المادي الناجم عن غيابه.

_ **العادات والتقاليد السلبية:** حيث أن هناك ثقافات فرعية تنتشر لدى العديد من الأسر الجزائرية، التي ترى أن خروج الطفل للعمل له بعد رمزي ثقافي مفاده أن الطفل من خلال ذلك يثبت رجولته في سن مبكرة، ومدى نجاعة أساليب التنشئة داخل الأسرة التي كونت منه فردا قادرا على تحمل المسؤولية في هذا السن، ويتم في غالب الأحيان تعزيز هذا السلوك من قبل الوالدين من خلال استحسان عمله وإعطائه امتيازات داخل المنزل مقارنة ببقية إخوته غير العاملين، حيث ينظر إلى العمل في هذه الأسر كقيمة اجتماعية، ويتم نقل الرؤية لقيمة الطفل العامل من جيل لآخر، تحت ما يسمى بإعادة إنتاج السلوك في ظل مجتمع ذكوري.

_ **غياب رقابة الأسرة:** في ظل ساعات العمل الطويلة، يغيب الطفل عن رقابة الأسرة وتوجيهها، فتحقق له مساحات من الحرية غير المسؤولة من الأهل، فيدخل ويخرج من المنزل في أي وقت يشاء، ويبقى خارجه حتى ساعات متأخرة من الليل، دون أن يحاسبه الأهل عن ذلك، ولا يخبر أسرته بما يحدث معه في

العمل، ولا يكترث الأهل أصلا لمعرفة ذلك، أو الاهتمام بنوع العمل وظروفه، ومن هو صاحب العمل وزملاء العمل، طالما أن الطفل يوفر لهم مدخول من عمله، وأكثر من ذلك قد لا يسأل الأهل عن مصدر

النقود التي بحوزة الطفل والتي تزيد عن الدخل الذي يجنيه من عمله7 _ **الضغوط العائلية**: إن الإساءة للطفل من قبل الأسرة وإجباره على العمل لساعات طويلة من أجل توفير مصدر دخل للأسرة، يؤدي بالطفل في ظل هذا الوضع المتردي إلى الانحراف والإقدام على سلوكيات منحرفة من أجل توفير مصدر دخل، وقد أشارت الدراسات أن السرقة، الغش، التسول، السلوكيات الإجرامية تأتي في الغالب نتيجة للضغوطات التي تمارسها الأسرة على أطفالها من أجل العمل وتوفير المال (عساف، نظام. 2000. 37).

3_ مجالات عمل الأطفال:

_ **القطاع الفلاحي**: يعتبر القطاع الفلاحي من زراعة، وقطف للثمار، وجني للمحاصيل، ورعي الماشية سواء في مزارع العائلة أو عند الآخرين، من أهم النشاطات التي تشهد تشغيل الأطفال، ويتميز العمل في هذا القطاع بكونه مرهقا من الناحية الجسدية على أجسام الأطفال الضعيفة خصوصا في ظل عوامل المناخ كالحرارة المرتفعة أو البرودة الشديدة مع قيامهم بمجهود بدني يفوق طاقتهم، ومن ذلك تعبئتهم للمحاصيل الفلاحية ثقيلة الوزن في الشاحنات، أو استخدامهم للمبيدات والأسمدة الفلاحية دون أخذ الاحتياطات والألبسة الواقية، وهذا له التأثير البالغ على صحة هؤلاء الأطفال، ويلجأ بعض أصحاب المزارع إلى تشغيل الأطفال نظرا لقلة اليد العاملة خصوصا في فترات جني المحصول، إضافة إلى استغلالهم لهم بسبب قلت خبرتهم وعدم وعيهم بحقوقهم فيحملونهم أكثر من طاقتهم مقابل مبالغ مالية قليلة.

_ **العمل في المصانع**: يلجأ بعض أصحاب المصانع إلى تشغيل الأطفال داخلها، في ظل غياب الرقابة عليها، ويتم استغلال مجهودهم مقابل مبالغ مالية زهيدة، مقارنة بالأعمال التي يقومون بها في ظل ظروف قاسية، كانبعاث الغازات والمواد الكيميائية داخل المصانع، وتعاملهم مع آلات ميكانيكية قد يتسبب جهلهم في طريقة التعامل معها في تعرضهم لحوادث عمل قد تسبب لهم إعاقات وعاهات جسدية دائمة، في ظل غياب التأمين الصحي عليهم.

_ **ورشات البناء**: يستغل العديد من أصحاب ورشات البناء الأطفال في القيام بمختلف أشغال البناء من حمل مستلزماته وجميع النشاطات المتعلقة به ويتميز العمل في هذا المجال بصعوبته من جهة والمخاطر المترتبة عنه من جهة أخرى، خصوصا إذا كان البناء في أماكن مرتفعة ودون استخدام تدابير السلامة

الأمنية من خوذة وملابس مناسبة، وهو ما يؤدي بهم في العديد من الحالات إلى التعرض لحوادث عمل تسبب لهم في عاهات مستديمة.

ـ **العمل في الأسواق كباعة وحمالين:** ينتشر في الأسواق العديد من الأطفال يمارسون مختلف النشاطات بداية ببيع مختلف السلع، إلى تحميل السلع ونقلها داخل السوق من التجار إلى الزبائن، والملاحظ أن هؤلاء الأطفال يدخلون السوق في ساعات الصباح الباكر أين يختلطون بمن هم أكبر منهم سنا في بيئة تنتشر فيها مختلف السلوكيات المنحرفة من غش وخداع وسرقة والتلفظ بكلمات مشينة، والتعامل بقسوة مع الأطفال وسبهم وشتمهم وحتى ضربهم.

ـ **الباعة المتجولون:** حيث يقوم بعض هؤلاء الأطفال ببيع المأكولات المعدة منزليا وبعض المنتجات الفلاحية حيث يقصد معظمهم حواف الطرق لبيع هذه المنتجات، كما ينتشرون في الأسواق ونجدهم بكثرة في الشواطئ في فصل الصيف، ويسبب لهم هذا العمل الكثير من التعب والإرهاق بسبب الفترات الطويلة التي يمضونها في المشي أو يمضونها وهم واقفين تحت أشعة الشمس صيفا أو البرد والمطر شتاءا، إضافة إلى المخاطر التي من الممكن أن يتعرضوا لها بسبب تواجدهم في أماكن البيع كحواف الطرق ومخاطر تعرضهم لحوادث مرور، وكذا تعاملهم مع الغرباء وما يمكن أن يتعرضوا له من تحرش ومضايقة.

4ـ الآثار المترتبة عن عمالة الأطفال:

هناك عدة أثار تترتب عن عمل الأطفال، فمنها ما هو متعلق بصحة الأطفال ومنها ما هو نفسي ومنها ما هو اجتماعي، ومن أهمها التعرض للإساءة، والتعرض للانحراف.

ـ **الآثار الصحية:** تعتبر الآثار الصحية من الآثار الملاحظة والمشاهدة من جراء عمل الأطفال والاستغلال المفرط لجهدهم، وهي متعددة ومنها الإيذاء الجسدي للطفل ويظهر في العديد من النماذج منها: الجروح، الحروق، الضرب، الدفع، والتعرض للضوضاء الشديدة في الورش الصناعية، أو الحرارة الشديدة خاصة في مجالات العمل التي لا تتم في أماكن مغطاة، ويعد هذا النوع من الإساءة الأكثر شيوعا وذلك بسبب سهولة اكتشافه وملاحظة أعراضه الظاهرية، وهذه الأضرار قد تؤدي إلى عاهات مستديمة وتؤثر على مسيرة حياتهم المستقبلية والسبب الحقيقي وراء تلك الإصابات المؤثرة على صحة هؤلاء الأطفال قيامهم بأعمال تفوق قدراتهم العمرية والجسدية من جهة، ومن جهة أخرى فإن معظم الأماكن التي يعمل بها الطفل تفتقر لأبسط شروط السلامة والأمن، ومن جهة ثالثة ساعات العمل الطويلة التي تدوم نحو عشر ساعات يوميا فتؤدي بهم للإرهاق الجسدي والإصابة بالعديد من الأمراض

المزمنة، كانحناء الظهر، آلام المفاصل، الإعاقات السمعية والبصرية، وغيرها من المشاكل الصحية، وتشير الدراسات أن 54% على الأقل من الأطفال العاملون مصابون بهذه الأمراض8

_ **الآثار الاجتماعية:** كثيرة هي الآثار الاجتماعية التي تنجم عن عمالة الأطفال، والتي تتسبب في حدوث المشاكل الاجتماعية في المجتمع، ومن بين هذه المشاكل نورد ما يلي:

_ السلوكيات الإنحرافية: إن أسباب الانحراف بشكل عام تعود إلى عدة أسباب مثل ضعف الرقابة الأسرية، وعدم تحمل المسؤولية لدى الوالدين، وعدم التنشئة السليمة... أما عن الأسباب الخاصة بانحراف الأطفال العاملين فإن بيئة العمل توفر جو مناسب للانحراف بسبب نوعية الأشخاص التي يتعامل معها الطفل، حيث أن أغلب من يتعامل معهم يكون مستواهم الدراسي منخفض ويقومون بسلوكيات منحرفة كالتدخين وتعاطي المخدرات، وقد يشجعون الأطفال على القيام بها ويعلمونهم إياها، وقد يتعرض الطفل في مثل هذه البيئة إلى التحرش والمضايقة الجنسية من خلال اللمس والألفاظ الجنسية، والتطرق في حضورهم إلى مواضيع الجنس، وقد يعرض عليهم فيديوهات جنسية أو ترسل لهم في هواتفهم، وهذا من شأنه أن يساهم في انحراف سلوكياتهم، خصوصا في هذه المرحلة العمرية الحساسة حيث يتميزون بالفضول وحب التجربة، ويكون إدراكهم قاصر لتبعات هذه السلوكيات الإنحرافية.

وتشير الإحصائيات إلى تزايد معدلات الجريمة في الدول التي ترتفع فيها معدلات عمالة الأطفال، إذ أن هؤلاء عادة ما يكونون بلا وازع ولا رقيب ويختلطون بمن هم اكبر منهم في السن، ونتيجة لذلك يضطر هؤلاء الأطفال للانخراط في شبكات العصابات المنظمة، وغالبا ما يعملون في مجالات السرقة والدعارة وتجارة المخدرات9

_تفشي الجهل والأمية والتخلف: يؤدي عمل الأطفال إلى حرمانهم من مواصلة تعليمهم وتحصيلهم العلمي إذ ينصرف الأطفال عادة عن الدراسة ويتفرغون وهم في سن مبكرة للعمل كمساعدين هامشيين لمن هم اكبر سنا، وبالتالي ينشا هؤلاء الأطفال وهم قليلو التجربة والتعليم مما يؤدي إلى زيادة وتفشي الأمية في المجتمع10

5_ المشكلات النفسية.

_ **التخلف الجسدي:** يعاني الأطفال الذين يعملون في سن مبكرة من عدم النمو الجسدي بسبب المخاطر التي يتعرضون لها في عملهم مثل حمل أشياء أثقل من طاقاتهم وخطر السقوط من أماكن شاهقة والتعرض للجروح والإصابات واستنشاق الغازات السامة.

_ تبلد الإحساس وانعدام العاطفة: يحرم الأطفال الذين يعملون في سن مبكرة من الاستمتاع بفترات طفولتهم وتكون حياتهم جافة، ويعانون كذلك من عدم تقدير النفس واحترمها، وتراودهم هذه الأحاسيس بصورة خاصة عندما يرون أقرانهم الذين أكملوا تعليمهم وهم في مراكز مرموقة ويستمتعون بثمرات تعليمهم، ونتيجة لذلك تترسب في نفوس هؤلاء الأطفال مشاعر الحقد والحسد، وسائر الأمراض الاجتماعية الأخرى، وبالتالي ينشئون وهم كارهون لهذا المجتمع الذي لم ينصفهم، ولم يساعدهم على تطوير أنفسهم.

_ عدم الثقة بالآخرين: غالبا ما يتعرض الأطفال أثناء عملهم مبكرا لاعتداءات من أصحاب العمل، ومن الزبائن الذين قد يتعاملون معهم بقسوة وعنف، مما يؤثر في نفسيات الأطفال، ويشعرهم بالاضطهاد وأنهم مستهدفون من قبل الآخرين، مما يجعلهم ينشئون وفي أنفسهم شعورا بالنقص وتتولد لديهم عقدة الدونية.

_ عدم التواصل مع المجتمع: نسبة لأن الأطفال العملين يقضون أغلب أوقاتهم مع أشخاص أكبر منهم سنا، فإنهم يتأثرون بهم وتكون علاقاتهم مع من هم في سنهم شبه مقطوعة، لذلك تكون علاقاتهم مع المجتمع مشوهة.

التخلف الأخلاقي: يتأثر الأطفال العاملين بالمجتمع الذي يعيشون فيه والذي يتكون غالبا من متعلمين وجهلة وتقل فيه بنسبة كبيرة من القيم والأخلاق فينشأ الأطفال وهم فاقدين لهذه الأخلاق مما ينعكس على سلوكهم ويساعد على تنشئتهم نشأة عدوانية، حيث أن التأثر النفسي السيئ والشعور بالدونية والاختلاف عن الآخرين يدفعهم إلى التحول إلى الشراسة وكره الحياة11

6 _ قراءة سوسيولوجية في ظاهرة عمالة الأطفال:

بالرغم من اختلاف العوامل التي تدفع بالأطفال إلى العمل في سن مبكرة من حياتهم من مجتمع إلى آخر وفقا للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لكل مجتمع، إلا أن هناك بعض التفسيرات النظرية والتطبيقية، التي ربما قد تمثل قواسم مشتركة لتفسير الظاهرة عالميا، ولعل الطرح الذي قدمه هشام شرابي في فهمه للتكوين الاجتماعي السائد في المجتمعات العربية عامة هو من أكثر التيارات الفكرية شمولا واكتملا والتي يمكن الاعتماد عليها في تفسير ظاهرة عمالة الأطفال من المنظور السوسيولوجي، وفهم العادات السلوكية السائدة، فظاهرة العمالة التي تعرف على أنها من أكثر الظواهر المتفشية في مجتمعنا وذلك لما تحمله من دلالة شرعية وطبيعة عادية في المنظور الاجتماعي رغم الصبغة الإجرامية التي تكتسيها هذه الأخيرة من المنظور القانوني لكونها تحمل في مضمونها انتهاكات شنيعة واستغلال كبير لشريحة حساسة وجوهرية في

البناء الاجتماعي مستقبلا، وقد عمدنا إلى محاولة تفسير تفشي هذه الظاهرة وبشكل كبير في مجتمعاتنا العربية عامة والمجتمع الجزائري خاصة من خلال وضعها في إطاري فهم نظري، أي تفسيرها من خلال مجموعة من القوانين النظرية التي تحكم الظاهرة، وقد ارتكزنا في فهمنا لها من خلال نظرية الهيمنة الذكورية التي تفسر توجه الأبناء نحو العمالة هو نتاج لسعي الأسرة لتكريس التفاوت بين الجنسين، والمحافظة على النظام الأبوي البطريكي "فالواقع أن الأنثى يجري تمييزها عن الذكر بصورة أساسية فهو أي الذكر كسب للعائلة وهي عبء عليها، والبنت منذ نعومة أظفارها تدفعها العائلة إلى الشعور بأنها غير ضرورية، وغير مرغوب فيها"12 فالذكر يتلقى اهتماما اكبر هذا ما يجعله ينمو تحت الضغط من خلال ترسيخ ثقافة هذا النظام التسلطي الذكوري وتعزيزه من خلال مجموعة من القيم والمفاهيم وأساليب التنشئة التي تجسد الهيمنة الذكورية، وتؤكد على ضرورة تولي الذكر زمام السلطة منذ الصغر من خلال إكسابه روح المسؤولية وإدارة الأمور، وذلك باستحسان كل سلوك يقلده الابن من الأب، وهذا ما أشار إليه "إبراهيم شرابي" حيث يرى "أن الصبي يعتمد على أبيه، ويرغب في التحرر من الاتكالية، وهو بسبب القيود الاجتماعية القاسية يتشدد في قمع ميوله الجنسية والعاطفية، وهو لا مكانة له في هذا العمر لأنه مزال يعتمد اقتصاديا على أبيه، ويعيش تحت جناحه مجبورا على الذل والخنوع، وبما أن شعوره بعدم التلاؤم يبلغ القمة في هذه المرحلة فهو مسحوق بما يشعر به من عجز وتفاهة، ولذلك فما إن يبلغ سن الرشد حتى يكون متعطشا إلى إبراز ذاته والى اعتراف الآخرين به والى الحصول على المكانة الاجتماعية والسلطة13

وبذلك تكون الأسرة قد سعت بطريقة غير مباشرة من خلال نظامها البطريكي الذكوري المتشدد إلى دفع الطفل إلى ولوج عالم العمالة، من خلال إدراكه لوضعه وحجم الضغط المسلط عليه، من أجل إثبات ذاته، وترسيخ ذلك الشعور فيه وإكسابه الصبغة الشرعية من خلال مجموعة من الأمثال التي تعزز السلوك وتثني عليه، فالابن يسعى جاهدا إلى الحصول على ذلك التعزيز والوصول إلى المكانة التي ترها الأسرة أنها مكانه الأصلي والفارق بين الجنسين، فالعمالة في منظور هذه النظرية هي من ملامح نتاج للبنيات الموضوعية والذاتية للهيمنة الذكورية، يتم إنتاجها جيلا بعد جيل بشكل يبدو ثابتا على الدوام للذكور، وفقا لتقسيم العمل، وممارسة السلطة.

إن تقسيم العمل في مجتمعنا يجيز بقاء المرأة في المنزل للقيام بأشغاله المختلفة، وتوجه الرجل للعمل خارجه، وممارسة نشاطاته بما تخول له من حرية مستمدة من الإرث الثقافي للنظام الأبوي السائد، ومن الشرعية المستمدة من الدين بوجوب الإنفاق، وكذلك وفقا لمنظور الفرق البيولوجي والفيزيولوجي الموجود، والذي يكرس بدوره ضرورة التفرد بمجموعة من النشاطات التي تضفي على ذلك التفاوت النزاهة

والمصداقية، فالأسرة تدفع بأبنائها نحو العمالة من أجل إرساء قواعد النظام السائد، والحرص على توارثه من خلال تعزيز هذه السلوكيات لدى أبنائه.

كما نجد في نفس السياق الطرح الذي جاءت به نظرية "القرار الأسري Models of Household Decions" والتي تعد من أكثر النظريات التي استخدمت لتقديم تفسيرات نظرية لعمالة الأطفال خصوصا البعد الاقتصادي حيث تشير هذه النظرية التي طورت بواسطة " بيكر Becker 1964" إلى كون الطفل مسلوب الإرادة، ولا يستطيع تقرير مصيره بنفسه، وبناء على ذلك فإن الأبوين يقرران عنه بما يتوافق مع مصالحهما، ويحقق رغبتهما دون أن يضعا في الحسبان مدى تأثير ذلك القرار على مستوى الطفل وإمكانية الإضرار بمصالحه، وانطلاقا من هذا الاتجاه فان الأسرة تنظر إلى الأطفال على أنهم أعضاء مساعدون وفاعلون في الأسرة مما يعطيهم أهمية أكبر، ويدفع هذا الاتجاه الأسر إلى النظر للأطفال على أنهم مشاريع استثمارية لمستقبل الأسر.

كما يشير كل من بيكر ولويس (1973) becker and lewis إلى عامل آخر حيث يريان أن قرار إنجاب الأطفال يتوقف على نظرة الأسرة لنوعية الذين تريد إنجابهم حيث تأخذ هذه النظرة تعدين أساسين وهما ما أطلقا عليه (quality-quantity) ويعني ذلك الاهتمام بالكيفية أو الكمية، أي الاهتمام بنوعية الأطفال الذين تريد الأسرة إنجابهم، أو الاهتمام بعدد الأطفال الذين تريد إنجابهم، فالأسرة التي تختار التوجه الكمي لعدد الأطفال نادرا ما تهتم بمستقبل أطفالها، أو تهتم بحصولهم على التعليم أو التدريب لضمان مستقبل أفضل لهم ولأسرهم، وإنما تنظر إليهم كأدوات يمكن استغلالها واستعملها لتحقيق المزيد من الدخل للأسرة في الوقت الحاضر، وبناء على ذلك فإن الأسر التي تأخذا بهذا الاتجاه تحاول إنجاب اكبر قدر ممكن من الأطفال، وبالتالي الزج بهم في سوق العمل في سن مبكر جدا، بينما حالات قليلة من تلك الأسر كثيرة الأطفال تقوم بتصنيف أطفالها إلى فئتين أحداهما تسمح لها بالالتحاق بالمدارس والحصول على فرص تعليمية، وأخرى تمنعهم من ذلك، وتلحقهم بسوق العمل في مرحلة مبكرة من العمر، ويعتمد مثل ذلك القرار على ترتيب الطفل بين إخوته حيث أن الطفل الأول هو الذي غالبا يحظى بفرصة التعليم 14

أما صديقي, وبارتنوس (siddiqi & patrinos) فيريان أنه على الرغم من أن هناك العديد من العوامل التي تدفع بالأطفال إلى العمل، إلا أن الفقر يأتي في مقدمتها حيث يضطر الأطفال إلى العمل لتوفير لقمة العيش لأنفسهم ولأسرهم، وعلى الرغم من أنهم لا يتقاضون أجور مجزية أو حتى جيدة إلا أن الأجور الزهيدة التي يتقاضونها تظل رغم قلتها أحد المصادر الرئيسة للدخل التي تساعد على توفير الحد

الأدنى من العيش في الكثير من دول العالم الثالث، ونتيجة لذلك لا غنى للعديد من الأسر في تلك البلدان عن الدفع بأبنائها إلى العمل في سن مبكرة للمساهمة في توفير لقمة العيش، وفي نظرهما فإن الفقر يمثل السبب الأكبر والقاسم المشترك الذي يدفع الكثير من الأسر لإرسال أبنائهم للعمل في سن مبكرة بغرض زيادة دخل الأسرة وإعالة باقي أفرادها15

ويؤكد "عبد الحميد ملكاني" أهمية الفقر كعامل رئيس لعمالة الأطفال إضافة إلى اتفاقه مع العديد من الطروحات التي تناولت أسباب الظاهرة حيث يشير إلى أن أهم أسباب عمل الأطفال الفقر حيث أن عمل يسهم عادة بنسبة تتراوح ما بين 20% و25 % من دخل الأسرة الفقيرة التي تنفق الجانب الأكبر من دخلها على الغذاء، وهكذا فان الدخل الذي يجلبه الأطفال يعتبر حاسما لبقاء هذه الأسرة، ومن الأسباب الاقتصادية التي يراها لعمل الأطفال حرص أصحاب العمل على خفض التكلفة عن طريق الأجور المتدنية التي تدفع للأطفال، والتي تعتبر من أهم أسباب تشغيل الأطفال16

خاتمة:

مما سبق عرضه نجد أن عمالة الأطفال هي ظاهرة سلبية، لها انعكاسات خطيرة على الطفل سواء من الناحية الصحية أو الأخلاقية أو النفسية أو التعليمية، وتقل أو ترتفع خطورتها حسب طبيعة العمل الذي يمارسه، فإذا كان هذا العمل يقوم به مع أفراد أسرته من باب التطوع والتعلم وفي أوقات الفراغ ولا يؤثر على الأوقات المخصصة للدراسة واللعب والراحة، ويكون هذا العمل يتوافق مع قدراته البدنية والذهنية فإن ذلك يكون إيجابي، أما إذا كان مجبرا على العمل وفي بيئة تشكل عليه خطرا من الناحية الصحية والنفسية والأخلاقية، فإن ذلك من شأنه أن يؤثر سلبا على نموه وتكوين شخصيته، فقد ينتج لنا ذلك شخصية مضادة للمجتمع.

الهوامش:

1_ أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت..1982. 236).

2_ مكتب العمل الدولي، 1993، عمل الأطفال إساءة لكرامة الإنسان وتبديد هائل للموارد البشرية، مجلة عالم العمل، العدد 4. 20)

3_ أحمد محمد موسى، أطفال الشوارع المشكلة وطرق العلاج، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، المنصورة. 2009. 12).

4_ أحمد زكي بدوي، المرجع السابق. 152)

5_ (أحمد، زكي بدوي. المرجع السابق. 124)

6_ إبراهيم الحيدري، النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب، ط1، دار الساقي، بيروت.. 187).
7_ محمد عاطف غيث، 1988، المشاكل الاجتماعية والسلوك الانحرافي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية. 67).
8_ عصام توفيق قمر وسحر فتحي مبروك، 2009، الرعاية الاجتماعية للأسرة والطفولة، المكتبة العصرية المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، القاهرة.. 287).
9_ عبد الرحمان بن محمد عسيري، 2014، تشغيل الأطفال والانحراف، ط1، الأكاديميون للنشر والتوزيع، الرياض.. 115).
10_ عبد الرحمن، نفسه. 118.
11_ هشام شرابي، 1984، مقدمات لدراسة المجتمع العربي، ط3، الدار المتحدة للنشر، بيروت.. 39)عبد الرحمن، بن محمد عسيري. 2014. 119).
12_ هشام، شرابي. نفسه. 42.
13_ عبد الرحمن، محمد عسيري. المرجع السابق. 36.
14_ عبد الرحمن، محمد عسيري. المرجع السابق. 43.
15_ عساف نظام، 2000، العنف الأسري وعمالة الأطفال، مركز التوعية والإرشاد، الزرقاء، الأردن.
16_ محمد الجوهري، 1988، دراسات في الأنثربولوجيا الثقافية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.